مجلة العلوم الإسلامية

تعدد العبادات في الديانة الصينية القديمة
عبادة السماء – عبادة قوى الطبيعة - عبادة روح الأجداد والأسلاف

م.م. حسام الدين محمد سلمان

كلية السلام الجامعة

قسم الدراسات الإسلامية وحوار الأديان والحضارات

Study Summary

This study deals with the cult of heaven، the forces of nature، the spirits of ancestors and ancestors in ancient China. She explained that the ancient Chinese worshiped the heavens and promised them the Great God. They called them names Shang and Tian. The sky had a sacred and great place; The whole universe and the stewardess of his affairs.

It is clear from the presentation of these acts of worship that the natural forces that were watching the effects and know what it is one of their beliefs، and stated that the most important elements of the worship of the forces of nature are the fear of paranormal nature، and the worship of spirits inherent in all parts، but the Chinese counted sun and rain elements of harmony And the connection between the above earth of life and the sky of hidden powers capable، and here worshiped both wind and thunder and trees and mountains، and believed that each of these sanctities spirit must be worshiped.

Even if the worship of the mysterious powers of the sacred worship of the ancient the worship of the spirits of ancestors and ancestors is no less sacred than the ،Chinese as it ،worship of the ancestors of the most important worship of the ancient Chinese that the lives of ،showed in this research that the beliefs of the ancient Chinese ancestors separated from them after Their death and stay in the world with their so they worship the souls of the ancestors to sanctify them and the reverence ،family and loyalty to their covenants and gratitude to them for what they have done Yes to and therefore give them sacrifices to their holy place.،their children

ملخص البحث

تتناول هذه الدراسة تعدد العبادات في بلاد الصين القديمة؛ من عبادة السماء وعبادة قوى الطبيعة وعبادة روح الأجداد والأسلاف، وكانت للسماء مكانة مقدسة لدى الصينيين القدامى، بل وعدّوها الإله الأعظم؛ حيث أطلقوا عليها عدة مسميات منها: شانج تي وتيان؛ لاعتقادهم أنها مسيطرة على كل الكون والمدبرة لشؤونه.

وأوضحت الدراسة أن القوى الطبيعية التي كانوا يشاهدون آثارها ويدركون ماهيتها - تعد من العقائد العامة لديهم، وأن أهم عناصر عبادتها لديهم هو الخوف من خوارق الطبيعة، بل عدّ الصينيون الشمس والمطر من عناصر الوئام والارتباط بين ما فوق الأرض من حياة وما في السماء من قوى خفية قادرة، ومن هنا عبدوا كلاً من الريح والرعد والأشجار والجبال، وآمنوا بأن لكل من هذه المقدسات روحًا يجب أنْ تعبد

وإذا كانت عبادة القوى الغامضة من العبادات المقدسة لدى قدماء الصين، فإن عبادة روح الأجداد والأسلاف لا تقل قدسية عنها، بل تعد هي الأخرى من أهم العبادات لديهم؛ حيث كان من معتقداتهم، أن أرواح الأسلاف تنفصل عنهم بعد موتهم وتبقى في الدنيا مع أسرتهم؛ لذلك فهم يعبدون أرواح الأسلاف تقديسًا وتوقيرًا لهم، بل ووفاءً لعهودهم على ما أسدوا من نِعَم لأبنائهم فيقدمون لهم القرابين لمكانتهم المقدسة لديهم.

المقدمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على عبده ورسوله المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

ثم أما بعد:

تعددت الآلهة لدى الصينيين القدماء؛ حيث اتخذوا لكل شيء إلهًا؛ للسماء وللأرض وللنار وللماء ولقوى الطبيعة وغيرها.

وقد بدأت العبادة في الصين قديمًا بتقديس السماء وقواها المنتجة؛ حيث عدّوها الإله الأعلى، وعبدوا القوى الطبيعية في الكون، وأرواح الأجداد والأسلاف، بل وأصبح هذا الأمر شائعًا بينهم؛ لذلك فإننا نجدهم يعظمون السماء وقوى الطبيعة وأرواح أجدادهم ويوقرون ويقدسون الأسلاف من الزعماء والأبطال والحكّام.

ولذا اخترت هذه العبادات لتكون مدار بحثي الموسوم بعنوان: (تعدد العبادات في الديانة الصينية القديمة: عبادة السماء - عبادة قوى الطبيعة - عبادة روح الأجداد والأسلاف)؛ حيث قسّمته إلى: مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة:

فكان المبحث الأول بعنوان: عبادة السماء، وبيّنت فيه مكانة هذه العبادة؛ حيث عبد الصينيون القدماء السماء بكونها الإله الأعظم، وحاكم الحكّام ورب الأرباب، وتناولت فيه أيضًا كيف كانت طقوس عبادة إله السماء في المعابد الصينية، وعقائدهم الخاصة في تقديس السماء.

والمبحث الثاني بعنوان: عبادة قوى الطبيعة، وتناولت فيه عبادة القوة الغامضة التي كانوا يشاهدون آثارها ويدركون ماهيتها، والتي تعد من العقائد العامة لدى قدماء الصين، وأن الخوف من خوارق الطبيعة هو سبب هذه العبادة، بل هو السبب وراء عبادة الأرواح الكامنة في جميع الأنحاء، وتقديس ما على الأرض من صور رهيبة وما لديها من قدرة على الانتاج والتوالد، وكيف ربط الصينيون بين الشمس والمطر والوئام والارتباط بين ما فوق الأرض من حياة وما في السماء من قوى خفية قادرة، ومن هنا عبدوا قوى الطبيعة من الريح والرعد والأشجار والجبال، وآمنوا بأن لكل من هذه المقدسات روحًا يجب أنْ تعبد.

والمبحث الثالث بعنوان: عبادة روح الأجداد والأسلاف، وأوضحت فيه أن أرواح الأموات تنفصل عنهم بعد موتهم وتبقى في الدنيا مع عائلتهم؛لذلك فهم يعبدون أرواح الآباء والأجداد(الأسلاف) تقديسًا لهم ووفاء لعهودهم وشكرًا لهم على ما أسدوا من نِعَم لأبنائهم، بل ويقدمون لهم القرابين، وهذه من أهم معتقداتهم؛ ولهذا ذكرت متى بدأت هذه العبادة؟

وجاءت الخاتمة فبيّنت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها في ضوء بحثي.

المبحث الأول

عبادة السماء

لقد عبد الصينيون القدماء السماء بكونها الإله الأعظم، وحاكم الحكّام ورب الأرباب، ولم تكن بالنسبة لهم هي القبّة الزرقاء المعروفة لنا، بل كانت تمثل لهم الأفلاك ومداراتها، والقُوى المسيطرة عليها والتي تسيرها في مداراتها، فعبدوها لاعتقادهم أنها عالم حيّ متحرك حسب نظام محكم ودقيق، تخضع له كل القوى المسيّرة في العالم، بل لها لها السيطرة العليا على كل القوى والمادة والأشياء جميعها [١]، واعتقد كونفوشيوس [٢] أن السماء قوة في الكون فيها قدرة أقوى من قدرة الإنسان تعمل على تحقيق العدل والحق، ولها من العطف والرحمة على الإنسان ما لها. فهي مثال للرحمة والعدل، ويعتقد قدماء الصين، أن كل الحوادث في السماء مقدرة ومعروفة لإيمانهم بالقضاء والقدر، وقد اختص بعبادة السماء وتقديم القرابين لها ملكهم الأكبر؛ ولذلك يطلق على إمبراطور الصين " ابن السماء" حتى صار لكل ملك أو أمير الحق في عبادة السماء كالملك الأكبر، بينما لا يحق لعامة الصينيين ذلك، فكانوا يعتقدون أنه يجب على الملك أنْ يحكم بين الناس بالعدل بأمر السماء، فإن خالف ذلك وقسا أو ظلم الرعية، سلّطت عليه السماء مِنْ رعيته مَنْ يخلعه أو يقتله، ومكّنت السماء لغيره من العادلين الاستيلاء على عرشه وطرده. وقد قيل على لسان أحد ملوكهم قد انتصر على ملك من بيت " هشيا " وقتله: ((أعطى الإله لكل إنسان ضميرًا، إذا تبعه يحفظه ويقوده إلى الطريق السوي، والإله دائمًا يبارك الطيب ويعاقب السيئ؛ ولذلك أنزل الإله المصائب على بيت " هشيا " كي يضع نهاية لآلامه) [٣].

وإله السماء " شانج تي " هو أعظم آلهة الصين منزلة وقدرًا [٤]، بل هو إله الآلهة؛ حيث يتقربون إليه بالذبائح وبإيقاد النيران فوق قمم الجبال وتحت الأشجار وفي المعابد [٥].

---

[١] ينظر: بتصرف يسير، عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة، فوزي محمد حميد، ط٢، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، ليبيا، ١٤٢٨هـ / ١٩٩٩م، ص ٢٢٧.

[٢] كونفوشيوس: هو مؤسس الديانة الكونفوشيوسية، ولد في ولاية " لو - Lu " شانتونج حاليًا، واسمه مشتق من لفظين: كونج K'ung، وهو اسم القبيلة التي ينتمي إليها، وفوتس Fu-tze ومعناه الرئيس أو الفيلسوف، فاسم "كونفوشيوس" يعني إذن رئيس كونج وفيلسوفها أو حكيمها. أمضى كونفوشيوس حياته في تطوير ونشر فلسفته الداعية إلى علاقات اجتماعية منسجمة أساسها العدل. ينظر: موسوعة الأديان الميسرة، عدد من المؤلفين، ط٤، دار النفائس، بيروت، لبنان، ١٤٢٨هـ /٢٠٠٧م، ص ٤٢٠.

[٣] عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة، فوزي محمد حميد، ص ٢٢٧-٢٢٨.

[٤] شانج تي - Shang Ti: إله السماء في الأساطير الصينية، كما أنه يعبد أيضًا على أنه السماء. وعندما وصل اليسوعيون إلى الصين في القرن السابع عشر ابتكروا كلمة (تيان شو) أي (إله السماء) لتطلق على الإله المسيحي. ينظر: معجم ديانات وأساطير العالم، د. إمام عبد الفتاح إمام، د.ط، مكتبة مدبولي، القاهرة، د.ت، ٣ / ٢٤٥.

[٥] من أذربيجان إلى لالش، أحمد ملا خليل، تحقيق وتعليق: د. خليل جندي، ط١، دار سبيريز، ٢٠٠٦م، ص ٧٦.

وأصل هذه الكلمة "شانج تـي" مكونة من مقطعين تي وتعني " TI - سيد " وشانج وتعني (الأعلى) أي معنى الكلمة هو (السيد في الأعلى). فـ" تي" يأمر بالإيقاعات الكونية والمظاهر الطبيعية (المطر، الريح، الجدب). ويمنح النصر للملك ويضمن وفرة المحاصيل، ويثير الكوارث ويبعث الأمراض والموت، ويُقدم إليه نوعان من الأضاحي: الأول: في معبد الأجداد والثاني: في البرية.

وعلى الرغم من تجلى" تي" في الأعلى بعيدًا، إلا أنه أقل فاعلية من أجداد السلالة الملكية ويُقدم إليه القليل من التضحيات. ولكنه عندما يتعلق الأمر بالخصب والحرب الشاغلين الأساسيين للحاكم هو الوحيد الذي يقدم له الدعاء [١].

وعبادة إله السماء لم تكن هي الوحيدة التي تمثل الدين لدى الصين، بل هي كانت إحدى العبادات الثلاثة التي يقوم عليها الدين في الصين؛ فالدين في الصين قام على ثلاث عبادات: عبادة إله السماء الذي يسمونه " شانج تي" الإله الأسمى، وعبادة الأرواح وقوى الطبيعة، وعبادة الأسلاف. فهذه العبادة "شانج تي" نرى فيها مُثلاً روحية سامية.

وهذه بعض العبارات المقتبسة عن الصلوات التي كانوا يرفعونها إلى "شانج تي" التي يمثل لهم الرب في فصل الصيف وفصل الشتاء؛ حيث كان يتقدم إليه الإمبراطور كرئيس كهنة نيابة عن الشعب:

((إليك أيها الصانع العظيم يتجه فكري... وأنا عبدك لست إلّا قصبة مرضوضة ونبتة هزيلة. قلبي قلب نملة حقيرة. ومع ذلك فقد نلت لديك شرفًا وحظوة؛ إذ جعلتني حاكمًا لهذه الإمبراطورية. وها أنا اعترف بجهلي وعمى قلبي. وأخشى أنْ أكون غير أهل لهذه النعم الوافرة. فهبني أنْ أراعي في وقار الشرائع والأحكام، باذلاً جهدي على الرغم من صغر شأني؛ لأن أقوم بواجبي بولاء وإخلاص، وعن بعد أتطلع إلى مقامك السماوي، فتعال في مركبتك الفاخرة إلى هذا المذبح. وها أنا خادمك أعفِّر وجهي في التراب متوقعًا جزيل نعمتك... لترضى بأن تقبل تقدماتنا، وترمقنا بعينيك حين نعبدك، يا ذا الصلاح غير المتناهى) [٢].

وهذه العبادة تمثل الإرهاصات الأولى لمفهوم الدين في التاريخ الصيني. فمنذ التاريخ كان وراء جميع الممارسات والإجراءات الدينية التي مارسها الصينيون، تلك العقيدة العظمى عن إله سام عظيم، عقيدة أحيطت في بعض الأحايين بنوع من الغموض والإبهام، ولم تظهر ثمارها في الحياة القومية ولكنها لم تبرح قط عن الأذهان. ويطلق على "شانج تي" هذا أو " الإله المتعالي " في مصطلحات الآداب القديمة الصينية لقب " تيان " [٣] أو

---

[١] ينظر: بتصرف يسير، تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية، ميرسيا إلياد، ترجمة: عبد الهادي عباس، ط١، دار دمشق، ١٩٨٦ / ١٩٨٧م، ص ١١.

[٢] أديان العالم، حبيب سعيد، د.ط، دار التأليف والنشر في الكنيسة الأسقفية، القاهرة، د.ت، ص ١١٨.

[٣] تيان: إن لفظ السماء (تيآن -天) كان كلمة مقدسة في اعتقاد قدماء الصين، وهي كلمة تحمل معنى الألوهية الكبرى، وقد كانوا يعتقدون بأن " السماء (تيآن-天) هو الإله الأعلى والمالك الأكبر الذى أوجد الإنسان وسائر الموجودات في العالم كله . وكثيرًا ما نجد هذه العقيدة بـ السماء (تيآن- 天) بكونه الإله الأكبر في الكتب المقدسة القديمة من الأسفار الخمسة =

السماء. وهذا هو اللقب الذي شغف به كونفوشيوس نفسه، وجرى على التحدث به كثيرًا[١]. ومما يلفت النظر طريقة الخطاب التي جرى عليها كونفوشيوس لإله تنقصه عناصر الشخصية؛ حيث يعد نفوذه هو صاحب الفضل في بقاء فكرة الإله العليِّ المتسامي مجردًا عن الشخصية وكان للإمبراطور وحده حق عبادة شنغتاي - نائبًا عن شعبه - فأدَّى هذا أيضًا بطبيعة الحال إلى إبعاد فكرة الألوهية السامية عن محيط العبادة الأصلية [٢].

وهذه العبادات الثلاثة كانت لها ثلاثة أنواع من المعابد الصينية القديمة كان النوع الأول لعبادة إله الطبيعة، وهي مستمدة من العبادة البدائية لجبال وأنهار الطبيعة، وتشمل السماء، الأرض، الشمس، القمر، السحب والرياح والعواصف الرعدية، آلهة الأرض، إله الجبال، إله الأنهار وغيرها؛ والنوع الثاني لعبادة الأجداد والأسلاف، وهو لتقديم القرابين لأجداد الحاكم ويسمى معبد أجداد الأباطرة، ويقوم موظفو الحكومة - بجميع مستوياتهم وفقًا للنظام - ببناء معبد الأجداد؛ أما النوع الثالث فهو معابد لحكماء السماء السلف مثل: معبد كونفوشيوس وغيره من المعابد الأخرى [٣].

وهذه العبادات كان يشارك فيها أباطرة الصين القدامى بأنفسهم، عن طريق تقديم القرابين إلى السماء والأرض، تقديم القرابين إلى إله الأرض، تقديم القرابين لمعابد السلف؛ ولذلك فإن بناء المعابد انتشر في الأساس إلى معبد السماء، معبد إله الخيرات، معبد أجداد الأباطرة فهو يعد معبد السماء هو المكان المقدس لتقديم القرابين إلى السماء.

فالصينيون القدامى كانوا يعتقدون أن الأباطرة هم أبناء السماء، فتمكنهم من حكم البلاد هو حق وهبهم الرب لهم؛ لذلك فإن أعظم طقوس العبادة هي عبادة السماء. فيقوم الأباطرة بتقديم القرابين للسماء في يوم الانقلاب الشتوي كل عام، وعند اعتلاء العرش يجب أيضاً أنْ يصلي ويعلن للسماء تعبيرًا عن أتباع أوامرها[٤].

ومعبد السماء في الصين كان عبارة عن مصطبة حجرية مستديرة بثلاث طبقات؛ وذلك لأن عبادة السماء لابد أنْ تكون في الهواء الطلق، وتبنى سلالمه من أجود أنواع الرخام الأبيض الصيني. وهذا النوع من المعابد

=والكتب الأربعة للكونفوشيوسية تتحدث عن هذا الموضوع. وكان أشهر النصوص التي يُستدل بها ويُورد هذا الموضوع، هو الشعر " عن الإنسان " من سفر القصائد ٢٣؛ إذ قال الشاعر: " أوجد السماء) تيآن - 天) " إنسانًا، ودبر له القواعد لشؤونه؛ ليتمسك بها عروة وثقى، فيميل البشر إلى الفضائل فطرة . ينظر: مجموعة الأحاديث، العلّامة جو شي، ط١، دار مكتبة الصين، ١٩٨٦م، ١ / ٢٢٥. وينظر أيضًا: كتاب شرح الألفاظ وبيان الكلم، شو شين، ط١، مطبعة الكتب التراثية، شانغهاي، ٢٠٠٣م، ص ٤٦.

[١] ينظر: بتصرف يسير، أديان العالم، حبيب سعيد، ص ١١٨.

[٢] المصدر السابق نفسه، ص ١١٩.

[٣] ينظر: بتصرف يسير، فنون العمارة الصينية، تساى بن شين، ط١، أطلس للنشر والانتاج الإعلامي، الجيزة، مصر، ٢٠١٧م، ص ٤٤.

[٤] فنون العمارة الصينية، تساى بن شين، ص ٤٥.

المكشوفة هو نوع خاص من البنايات الصينية القديمة، يختلف كثيرًا عن البنايات الداخلية والخارجية للمعابد، فهي لا تسعى وراء أسرار الآلهة وتقييدها، بل تبرز اتساع وعظمة الطبيعة؛ فهي لا تصل إلى ضخامة تماثيل الآلهة المهيبة، كما أن طقوس العبادة بها تعبر عن الانسجام بين الإنسان والسماء والأرض.

وكان لاعتقاد الصينيين القدماء أن السماء تابعة للشمس والأرض تابعة للقمر، وأن الأعداد الفردية تتبع الشمس، والأعداد الزوجية تتبع القمر. لذلك فإن تسعة يرمز إلى اللاحدودية، وكان يطلق على الأباطرة الصينين القدامى تبجيل تسعة خمسة، ويوجد بالشعر الصيني القديم أقاصي السماء، السماء التاسعة، السحابة التاسعة وغيرها من المسميات [١].

وتقديس السماء لدى قدماء الصين جعلها تمثل عندهم كل الكون، وأما الأرض وما فيها فليست إلّا رمزًا تمثيليًّا من رموز السماء [٢].

والخاصة من قدماء الصين لم تكن عقيدتهم مجرد عبادات وطقوس دينية فحسب، وإنما كانت ممتزجة بأفكار قيمة حول الكائن من حيث هو كائن، وتحليلات لا بأس بها للقوى الطبيعية: السماوية والأرضية التي كانوا يشاهدون آثارها، الأمر الذي كان ذلك مقصورًا على الخاصة ومحرمًا على العامة تحريمًا قاسيًّا... وكان حكماؤهم يقولون: ((ليس من العقل أنْ نسلم إلى الجمهور الأداة التي يسيء استعمالها، والتي قد تجرحه فترديه قتيلاً)) [٣]

ويتضح مما سبق أن الصينيين القدامى كانوا يعبدون الآلهة والطبيعة وظواهرها المختلفة، مع عبادة أرواح الأجداد والأسلاف. وتطورت العبادات الصينية في إضافة قوة إلهية جديدة وموحدة اسمها السماء " تيان " والتي ترادف الكلمة " شانج تي ". وبحسب هذا المفهوم، تحكم هذه القوة الإلهية الجديدة على الكون بقوة قدرية هي فوق الفهم البشري وحكمه وسيطرته؛ حيث تعطي السماء أوامرها لبعض الأفراد أو العوائل لحكم الآخرين بالعدالة والإنصاف. وعندما يفشل هؤلاء في الحكم العادل فإنها تقيم أناسًا آخرين وتجعلهم مسؤولين لحكم الناس. وهكذا تستمر السماء بإعطاء بركتها بحسب مفهوم الكونفوشية [٤] في العدالة السماوية على الأرض [٥].

---

[١] فنون العمارة الصينية، تساى بن شين ، ص ٤٧.

[٢] الأديان الوضعية في مصادرها المقدسة وموقف الإسلام منها، د. إبراهيم محمد إبراهيم، ط١، مطبعة الأمانة، مصر، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م ، ص ٢٠٦.

[٣] ينظر: بتصرف يسير، تاريخ الأديان، د. سعيد مراد، د.ط، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، د.ت، ص ١٧٤.

[٤] الكونفوشية: هو النظام الأخلاقي المبني على تعاليم كونفوشيوس التي أكدت المحبة واللياقة والفضيلة والطاعة النبوية، والولاء العائلي، ونادت بالعدالة والسلام العالمي، وهي تعد ديناً وفلسفة، ونهجاً للحياة في آن واحدة ظلت ألفي عام أو يزيد مصدر هداية ومعرفة = = للشعب الصيني، وأساس البنية الاجتماعية والتربوية والإدارية التي ميزته عبر العصور. ينظر: معجم ديانات وأساطير العالم، د. إمام عبد الفتاح إمام، ١ / ٢٦٩.

[٥] ينظر: بتصرف يسير، الموجز في المذاهب والأديان، الأب صبري المقدسي، ط١، أربيل، ٢٠٠٩م، ٢ / ١٠٥ - ١٠٦.

بل وكانت الأرض والسماء في هذا الدين البدائي مرتبطتين إحداهما بالأخرى؛ لأنهما شطران من وحدة كونية عظيمة، وكانت صلة إحداهما بالأخرى أشبه بصلة الرجل والمرأة... وكان الإله الأكبر هو هذه السماء العظمى نفسها، هذا النظام الأخلاقي، هذا الترتيب القدسي، الذي يشمل بين طياته الناس والجماد ويحدد العلاقة الحقة بين الأطفال وآبائهم، والزوجات وأزواجهن، وبين الأتباع وسادتهم، والسادة والإمبراطور، والإمبراطور والإله، لقد كان هذا تفكيرًا عجيبًا ولكنه تفكير نبيل يتأرجح بين التجسيد الشخصي - حين يصل الشعب للسماء المعبودة - والتجريد حين يتحدث الفلاسفة عن جماع تلك القوى الشديدة البعيدة عن قوة البشر فرادى أو مجتمعين التي تسيطر على السماوات والأرضين والناس[١].

المبحث الثاني
عبادة قوى الطبيعة

عبد الصينيون القوى المسيطرة على الأشياء الموكلة بها، فهم يعتقدون أن لكل شيء قوة تسيطر عليه وتسيّره، فللشمس قوة تسيّرها، وللقمر وللسحاب وللمطر والجبال والكواكب وكل الأشياء كذلك.

وهذه العبادة يختلف فيها الملوك عن عامة الناس، فالملوك يعبدون القوة الخاصة بكواكب السماء، وكل ما فيها، بينما يعبد عامة الصينيين كل قوى الأرض وما يختص بها.

وكانت دوافع تلك العبادة متعددة منها: الخوف من خوارق الطبيعة وتقديس ما على الأرض من صور رهيبة، وما فيها من قدرة على الانتاج والتوالد [٢].

وتعد عبادة القوة الغامضة التي كانوا يشاهدون آثارها ويدركون ماهيتها من العقائد العامة لدى قدماء الصين، وكانت هذه الأرواح المعبودة تتألف لديهم من: أرواح القوة الطبيعية المنبثقة في العالمين العلوي والسفلي؛ مثل الشمس والقمر والنجوم، والجبال والتلال والبحار والأنهار والغابات والزروع ونحوها [٣].

ولقد شاعت عبادة قوى الطبيعة لدى الشعوب القديمة كلها، وكان من أهم عناصرها: الخوف من خوارق الطبيعة، وعبادة الأرواح الكامنة في جميع الأنحاء، وتقديس ما على الأرض من صور رهيبة وما لديها من قدرة على الانتاج والتوالد، وخشية السماء وعبادتها وإجلال ما فيها من شمس منعشة وأمطار مخصبة، بل لقد كان الصينيون يعدون الشمس والمطر من عناصر الوئام والارتباط بين ما فوق الأرض من حياة وما في السماء من قوى خفية قادرة... ومن هنا عبدوا الريح والرعد والأشجار والجبال والأفاعي.. وآمنوا بأن لكل من هذه المقدسات روحًا يجب أنْ تعبد [٤].

---

[١] ينظر: بتصرف يسير، تاريخ الأديان، د. سعيد مراد، ص ١٧٢ - ١٧٣.

[٢] ينظر: بتصرف يسير، عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة، فوزي محمد حميد، ص ٢٢٨.

[٣] ينظر: بتصرف يسير، الأديان الوضعية في مصادرها المقدسة وموقف الإسلام منها، د.إبراهيم محمد إبراهيم، ص ٢٠٥.

[٤] ينظر: بتصرف يسير، تاريخ الأديان، د. سعيد مراد، ص ١٧٢.

المبحث الثالث

عبادة روح الأجداد والأسلاف

إن عبادة أرواح الأموات التي تنفصل عنهم بعد موتهم وتبقى في الدنيا مع أسرتهم كانت من معتقدات القدماء الصينيين؛ لذلك فهم يعبدون أرواح الآباء والأجداد ويقدمون لهم القرابين تقديسًا لهم ووفاءً لعهودهم وشكرًا لهم على ما قدموا من نِعَم لأبنائهم، دون إقامة قبور ضخمة لهؤلاء الأجداد كالمصريين؛ إذ يقول أحد المؤرخين: ((إن الصين ليست مقبرة كمصر، ولكنها بيت كبير للأجداد).

ولم يكتفِ الصينيون بهذه العبادة، بل عبدوا أرواح كبار الحكماء والأبطال الوطنيين، وعبدوا أباطرتهم الذين كانوا في نظرهم مقدسين وعبدوا بعض القوى السحرية الموجودة داخل المنزل ((قبل باب البيت أو العتبة أو موقد المطبخ أو ساحة المنزل أو الحديقة)..... إلخ.

وتمثلت العبادة عند الصينيين في شكل الغناء والرقص والموسيقى، وكأنهم يشركون آلهتهم معهم في أفراحهم وسرورهم وأغانيهم وموسيقاهم، ولم يؤمنوا بالجنة ولا بالنار، ولا بالثواب ولا بالعقاب [١]، ولم تكن هذه العبادة ذات مغزى كبير لدى الصينيين؛ حيث إذا لاحظ الصيني عدم استجابة الآلهة وأرواح الأجداد لدعائه شتمها وقذف بتماثيلها وصورها بعيدًا، ومن ذلك هذا القول: ((ليس من صانعي التماثيل والصور من يعبد الآلهة؛ لأنهم يعرفون من أي مادة تصنع).

- ويعتقد الصينيون القدماء أيضًا، أن الأحداث الكونية تتبع الأخلاق التي تسود بين الناس وملوكهم، فكلما كان العدل والانسجام والتفاهم والفضيلة تسود بين الناس وتربط العلاقات بينهم برباط من المودة والمحبة والرحمة - فالكون يسير في فلكه من غير اضطراب؛ حيث يعيش الناس بسعادة وهناء، أما إذا حاد الإنسان عن جادة الحق وابتعد عن السلوك القويم، فيضطرب الكون لمخالفة القانون الأخلاقي [٢].

- بل ويعتقد الصينيون أن حدوث القحط والزلازل والدمار، وكسوف الشمس، وخسوف القمر - دلالات على فساد خُلقي موجود بين الناس، أما السلوك الطيب فيجلب الخير والبركات ويجعل كل ما في الكون يجيء وفق رغبة الإنسان.

- ويعتقد الصينيون أن المؤثرات في الكون هي أمور ثلاثة السماء والأرض والإنسان: السماء: ولها السلطان الأعلى. ثم الأرض: لأنها تقبل أحكام السماء. ثم الإنسان: بما يؤثره بإرادته، فإذا أراد الفضيلة وسلك سبيلها يجعل مظاهر الكون لخير الإنسان [٣].

---

[١] ينظر: بتصرف يسير، تاريخ الأديان، د. سعيد مراد، ص ٢٢٨ - ٢٢٩.

[٢] ينظر: بتصرف يسير، عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة، فوزي محمد حميد، ص ٢٢٩

[٣] ينظر: بتصرف يسير، عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة، فوزي محمد حميد، ص ٢٢٩.

- وتعيب الكنفوشية الوثنية وتنعيها وربما هذا يكون ظاهريًّا؛ حيث إلى جانب عبادة الإمبراطور للإله شنغتاي، نجد لوحات تمثل الأباطرة السابقين، ولوحات غيرها تمثل الشمس والقمر والنجوم والغيوم والأمطار والرياح والرعود، موضوعة إلى جانب لوحة الإله العظيم، وفي مقام منخفض عنها. تدل على - ولو كانت خاضعة للإله الأسمى وأقل منه شأنًا - الانحدار إلى الوثنية.

وواقع الحال يقول أن الكنفوشية منذ أنْ توفى زعيمها مالت إلى ضروب شتى من الوثنية، ولو أنها في الظاهر- وبالاسم فقط - تعيب الوثنية وتنعيها [١].

ومن نوافل القول أن عبادة الأسلاف أهم من عبادة الأرواح فهي عبادة يرجع تاريخها إلى العصور الخوالي، بل وما زال شائعًا ومألوفًا حتى هذا العصر وجودها.

فالصيني يحرص على عبادة الأسلاف حرصًا شديدًا، فأنت قد يُباح لك أنْ توجه الملام إلى أي شيء في الصين. أما أنْ تمس عبادة الأسلاف بسوء، فهذا ما لا يرضاه الصيني ويصدُّك عنه في جفاء.

وكانت بداية هذه العبادة كضرب من ضروب التكريم للميت بعد الوفاة [٢]، ثم استحالت إلى عبادة الأبطال الحكماء من رجال الشعب. وأخذت العادة تنتشر بين القبائل والأسر تغذيها روابط الأسرة في بلاد الصين، وهي قوية بطبيعتها في تلك البلاد، حتى أصبح كل الأسلاف موضع التوقير والعبادة من الجميع على السواء. واللوحة المستعملة في عبادة الأسلاف هي عادة ((لوحة صغيرة من الخشب يبلغ علوها ثماني بوصات وعرضها بضع بوصات يُنقش على وجهها اسم الشخص الذي تمثله). وتحفظ هذه اللوحة في دار الأسرة مدى حياة جيل أو اثنين من أجيال الأحياء عقب انتقال المتوفى، ثم تنقل بعد ذلك إلى هيكل أسلاف القبيلة أو الأسرة. ومن حين إلى آخر تقدم إلى هذه اللوحة التقدمات، ولا سيما في عيد ميلاد المتوفى أو يوم ذكر موته من كل سنة. ولهذا النظام أثر بارز في تقوية نفوذ الأسرة أو القبيلة على الفرد بحيث يعسر عليه جدًّا الخروج على التقاليد والعادات للرعية. وإنه ليصعب على المرء أنْ يدرك المدى الذي يذهب إليه الصيني في عبادة أرواح أسلافه وما تنطوي عليه تلك العبادة بكثير من العطف والحب الخالص للمتوفين، وفي أحيان يخالطها الخوف مما تفعله أرواح الأسلاف لو لم يعبدها اللاحقون، وفي أحيان أخرى ليست إلّا مجرد طقوس وممارسات وضعية جرى عليها العرف والعادة.

ومن نوافل القول أن الدين في بلاد الصين يتكون من نسيج هو: عبادة شنغتاي، وعبادة الأرواح، وعبادة الأسلاف [٣]. وأن قدماء الصين غلوا في تقديسهم لأرواح الموتى من الآباء والأجداد إلى حد لا يعرف له نظير عند غيرهم من الشعوب حتى قدّسوا عبادتها على عبادة السماء كالشمس والقمر [٤].

---

[١] ينظر: بتصرف يسير، أديان العالم، حبيب سعيد، ص ١١٩.

[٢] ينظر: بتصرف يسير، أديان العالم، حبيب سعيد، ص ١١٩.

[٣] ينظر: بتصرف يسير، المصدر السابق، ص ١١٩ - ١٢٠.

[٤] ينظر: بتصرف يسير، الأديان الوضعية في مصادرها المقدسة وموقف الإسلام منها، د.إبراهيم محمد إبراهيم، ص٢٠٥.

الخاتمة

إن أهم النتائج التي تم التوصل إليها في ضوء هذا البحث هي كالآتي:

١- تعددت الآلهة لدى الصينيين القدماء؛ حيث اتخذوا لكل شيء إلهًا؛ للسماء وللأرض وللنار وللماء ولقوى الطبيعة وغيرها.

٢- لقد عبد الصينيون القدماء السماء بكونها الإله الأعظم، وحاكم الحكّام ورب الأرباب.

٣- أن إله السماء " شانج تي " هو أعظم آلهة الصين منزلة وقدرًا، بل هو إله الآلهة؛ حيث يتقربون إليه بالذبائح وبإيقاد النيران فوق قمم الجبال وتحت الأشجار وفي المعابد.

٤- أن عبادة إله السماء لم تكن هي الوحيدة التي تمثل الدين لدى الصين، بل هي كانت إحدى العبادات الثلاثة التي يقوم عليها الدين في الصين.

٥- أن الصينيين القدامى كانوا يعتقدون أن الأباطرة هم أبناء السماء.

٦- أن الصينيين القدامى كانوا يعبدون الآلهة والطبيعة وظواهرها المختلفة، مع عبادة أرواح الأجداد والأسلاف.

٧- شاعت عبادة قوى الطبيعة لدى الشعوب القديمة كلها، وكان من أهم عناصرها الخوف من خوارق الطبيعة، وعبادة الأرواح الكامنة في جميع الأنحاء.

٨- أن عبادة الأسلاف كان لها أهمية كبيرة فهي عبادة يرجع تاريخها إلى العصور الخوالي، بل وما زال شائعًا ومألوفًا حتى هذا العصر وجودها.

٩- أن قدماء الصين غلوا في تقديسهم لأرواح الموتى من الآباء والأجداد إلى حد لا يعرف له نظير عند غيرهم من الشعوب.

١٠ - اكتسب الحاكم أو الإمبراطور في الديانة الصينية القديمة وضعًا خاصًّا في الدين والأخلاق؛ فالحاكم ليس مجرد المدبر لشؤون الدولة، بل هو بمثابة الأب للعائلة الكبيرة التي هي الدولة.

قائمة المصادر والمراجع

١. أديان العالم، حبيب سعيد، د.ط، دار التأليف والنشر في الكنيسة الأسقفية، القاهرة، د.ت.

٢. الأديان الوضعية في مصادرها المقدسة وموقف الإسلام منها، د. إبراهيم محمد إبراهيم، ط١، مطبعة الأمانة، مصر، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م .

٣. تاريخ الأديان، د. سعيد مراد، د.ط، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، د.ت.

٤. تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية، ميرسيا إلياد، ترجمة: عبد الهادي عباس، ط١، دار دمشق، ١٩٨٦ / ١٩٨٧م.

٥. عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة، فوزي محمد حميد، ط٢، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، ليبيا، ١٤٢٨هـ / ١٩٩٩م.

٦. فنون العمارة الصينية، تساى بن شين، ط١، أطلس للنشر والانتاج الإعلامي، الجيزة، مصر، ٢٠١٧م.

٧. كتاب شرح الألفاظ وبيان الكلم، شو شين، ط١، مطبعة الكتب التراثية، شانغهاي، ٢٠٠٣م.

٨. مجموعة الأحاديث، العلّامة جو شي، ط١، دار مكتبة الصين، ١٩٨٦م.

٩. معجم ديانات وأساطير العالم د. إمام عبد الفتاح إمام، د.ط، مكتبة مدبولي، القاهرة، د.ت.

١٠. من أذربيجان إلى لالش، أحمد ملا خليل، تحقيق وتعليق: د. خليل جندي، ط١، دار سبيريز، ٢٠٠٦م.

١١. الموجز في المذاهب والأديان، الأب صبري المقدسي، ط١، أربيل، ٢٠٠٩م.

١٢. موسوعة الأديان الميسرة، عدد من المؤلفين، ط٤، دار النفائس، بيروت، لبنان، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.